

النزاع البريطاني - العثماني حول منطقة العديد

م.م. جزائر جليل عطوي الوائلي
جامعة واسط - كلية التربية

تقع قرية العديد في الزاوية الجنوبية الشرقية من شبه جزيرة قطر، سكنتها عشيرة القبيسات برئاسة بطي بن خادم منذ سنة ١٨٦٩ بعد أن هاجرت من أبو ظبي^(١). والقبيسات فرع من عشيرة بني ياس التي تتألف من عدة أسر كبيرة منها أبو فلاح التي تنتمي إليها الأسرة الحاكمة في أبو ظبي، فضلا عن أسر صغيرة تعمل في صيد الأسماك واللؤلؤ وبناء السفن، يعيش غالبية أفرادها فصل الشتاء في منطقة (ليوا) على أطراف الربع الخالي في منطقة الظفرة، ويملكون أشجار نخيل وأغنام وماعز وهم الذين قاموا ببناء مدينة على الساحل الجنوبي لخور العديد في أوائل القرن التاسع عشر، ومن الجدير بالذكر إن مدينة العديد اكتسبت أهمية كبيرة عندما وصل العثمانيون إلى الإحساء وقطر، إذ كانت الحد الفاصل بين النفوذ البريطاني والعثماني في شرقي شبه الجزيرة العربية إذ أصبحت المدينة منطقة صراع بين البريطانيين والعثمانيين وهذا انعكس على علاقة قطر بأبو ظبي* حين استمر النزاع بينهما أكثر من إحدى عشرة سنة لضم هذه المنطقة لكل منهما^(٢).

- هجرات القبيسات

كانت هجرة القبيسات الأولى من أبو ظبي إلى منطقة العديد تمت في عام ١٨٣٥ ويعود سبب هجرتهم إلى رفضهم دفع حصتهم من الغرامة التي فرضتها السلطات البريطانية على شيخ أبو ظبي خليفة بن شخبوط (١٨٤٥-١٨٣٣) بسبب قيام جماعة تابعين له بأعمال قرصنة^(٣)، وإزاء ذلك قام الشيخ خليفة بالإغارة عليهم وتمكن من قتل عدد منهم وفر البقية إلى الشارقة ودبي، إلا أن خادم بن نهيان رئيس القبيسات آنذاك عاد إلى أبو ظبي ومعه بقية القبيسات بعد الإغراءات التي عرضها عليه الشيخ خليفة بن شخبوط بشرط أن يظلوا خاضعين لحكمه^(٤).

أما هجرتهم الثانية التي أحبطها حاكم أبو ظبي سعيد بن طحنون (١٨٥٥-١٨٤٥) فكانت بسبب امتناع مراكب القبيسات عن العودة إلى أبو ظبي أواخر موسم صيد اللؤلؤ واتجهت إلى الدوحة في قطر. وقام شيخ أبو ظبي باتخاذ الإجراءات الفورية لإرغامهم على

العودة عام ١٨٤٩، بعد أن سجن بعض القبيسات الذين كانوا لا يزالون في أبو ظبي فأرسل يستدعي بعض القادة المستوطنين في الدوحة^(٥)، وحين رجعوا استقبلهم استقبالا خادعاً. وفي الليلة التالية تم تجريد القوارب التي جاءوا بها، وحين وجد القبيسات أنفسهم عاجزين عن الهرب أرغموا على قبول الشروط التي فرضها عليهم الشيخ وكانت تشمل منعهم من العودة إلى الدوحة، وسداد جميع الديون المستحقة عليهم للدائنين من الأفراد فضلا عن دفع غرامه خاصة للشيخ^(٦).

أما الهجرة الثالثة إلى العديد فكانت في الأعوام (١٨٨٠-١٨٦٩)، حين حاولت القبيسات تحرير نفسها من شيخ أبو ظبي بانتقالهم للإقامة بعيدا عن منطقته عام ١٨٦٩، ولأسباب لم تتأكد لنا^(٧)؛ هاجرت فرقة من القبيسات يقودها بطي بن خادم من أبو ظبي واستقرت بعيدا في خور العديد^(٨). والهجرة الأخيرة تختلف عن سابقتها، لتزامنها مع الوجود العثماني في منطقة الخليج العربي، إذ أصبحت العديد منطقة صراع بين البريطانيين والعثمانيين وانعكس بدوره على علاقة قطر بأبو ظبي، فقد أدى وجود القبيسات في العديد إلى تفجير الصراع بينهما ليستمر ما يناهز إحدى عشرة سنة (١٨٩١-١٨٨٠) لضم هذه المنطقة^(٩).

- النشاط العثماني في العديد

بدأ أول اتصال مباشر بين العثمانيين ومنطقه العديد في العام ١٨٧٣ حين زار المنطقة وفد عثماني برئاسة حسين أفندي القائد البحري العثماني^(١٠)، الذي توصل إلى اتفاق يدفع بموجبه إلى المقيمين في العديد مبلغ يتراوح بين (٥٠-٤٠) روبية كل سنة نظير السماح لهم بصيد اللؤلؤ في الساحل الذي تطل عليه العديد^(١١)، على أن يدفع المبلغ إلى الشيخ قاسم آل ثاني (١٨٧٨ - ١٩١٣) حاكم قطر^(١٢)، الذي يقوم بتسليمه إلى العثمانيين، ثم غادروا المنطقة بسبب رداءة الماء دون أن يقيموا موقعا عسكريا لهم في المنطقة^(١٣).

وفي أيلول عام ١٨٧٣ وصل العميد روس المقيم البريطاني في الهند خطاب حكومته الذي نقله مساعده الرائد جرانت يتضمن معلومات وصلت من ساحل عمان بصدد خطط السلطات العثمانية لمد سيادتها حتى ساحل عمان^(١٤). فأصبح البريطانيون أمام حقيقة أن بقاء القبيسات في العديد دون خضوعهم لحاكم أبو ظبي سوف يهيئ الفرصة للعثمانيين للتوسع إلى الجنوب من قطر في حالة قبول القبيسات الحماية العثمانية، لذلك اخذ البريطانيون يمهدون لضم العديد نهائياً إلى أبو ظبي، على أساس أن بقاء العديد بيد الشيخ زايد بن خليفة (١٨٥٥ - ١٩٠٢) حاكم أبو ظبي حليف البريطانيين سيمنع العثمانيين من التوسع في

المنطقة^(١٥)، كما أن التعامل مع الشيخ زايد أضمن لهم من التعامل مع الشيخ قاسم آل ثاني، الذي قبل الحماية العثمانية^(١٦)، لذلك قام البريطانيون بين ١٨٧٦ و ١٨٧٧ بافتعال أعمال قرصنة قرب مياه العديد اتهموا بها قبيلة بني هاجر الخاضعة للنفوذ العثماني، بغية إظهار ضعف السيطرة العثمانية هناك، واتخاذها مبررا للتدخل في المناطق الخاضعة للنفوذ العثماني^(١٧).

- النشاط البريطاني لضم العديد:

مارس البريطانيون نشاطاً على الأرض لضم العديد إلى أبو ظبي بين سنتي ١٨٧٧ و ١٨٧٨، فقد انتهزت حكومة الهند حادثة اعتداء سكان العديد على زورق تابع لأبو ظبي في شباط عام ١٨٧٧ عند عودته من مصائد اللؤلؤ لتؤكد رأيها في خطورة انفصال العديد عن أبو ظبي^(١٨)، وكان البريطانيون أمام خيارين لتطبيق إرادتهم في إعادة القبيسات إلى أبو ظبي. الأول يهدف إلى التوصل إلى عقد مصالحة بين الشيخ زايد والقبيسات، وسيرتب عليه عودة القبيسات إلى أبو ظبي، والخيار الثاني سينفذ في حالة فشل مساعيهم بعقد المصالحة بين الطرفين، يتضمن استعمال القوة لإعادتهم إلى أبو ظبي عن طريق مساعدة الشيخ زايد للقيام بحملة على العديد وفرض سيادته على القبيسات^(١٩).

لقد باعت مساعي البريطانيون في عقد المصالحة بين الطرفين بالفشل، فأعد البريطانيون حملة على العديد مؤلفة من سفينة الحرب تيسر (Teaser) ومائة مركب وألف من رجال الشيخ زايد، وتمكنت من دخول العديد في ٣٠ آذار عام ١٨٧٨ دون قتال^(٢٠)، والسبب أن القبيسات تمكنوا قبل وصول الحملة من مغادرتها بعد أن أخذوا كل ممتلكاتهم ودمروا المنازل ورددوا الآبار، وفضلوا اللجوء للشيخ قاسم آل ثاني في البدع**، حينذاك أمر الشيخ زايد بتدمير ما تبقى من منازل وآبار وأصر على أن تبقى كما كانت قبل أن يسكنها القبيسات خراباً لا يقطنها أحد، فيما لم تكن ردود الفعل العثمانية على هذا العمل سوى احتجاج قدمه والي البصرة للسلطات البريطانية في الخليج العربي^(٢١).

والواقع أن منع البريطانيون قيام مشيخة جديدة في منطقة العديد مخالف لسياساتهم القائمة على تجزئة الساحل الغربي للخليج العربي إلى أقاليم صغيرة كلما سنحت الفرصة، لكن الوجود العثماني فرض عليهم إتباع سياسة جديدة تستهدف منع امتداد نفوذهم إلى خارج الحدود التي وصلوا إليها، مما أثر على موقفهم من القبيسات، فالسماح بقيام مشيخة منفصلة في العديد يعني أنهم يهيئون الفرصة للعثمانيين ليعززوا نفوذهم في هذه المنطقة^(٢٢)، على أساس أن هذه المشيخة ستكون ضعيفة وإن أي ضغط عليها من الشيخ زايد سيدفعها لطلب

الحماية العثمانية، فيما سيكون العثمانيون في مواجهة مع البريطانيين إذا ما وضعت العديد ضمن أراضي أبو ظبي، التي يخضع شيخها زايد للنفوذ البريطاني، وهذا يمنع العثمانيين من التفكير في مد نفوذهم هناك، على أن تدمير الشيخ زايد لمنطقة العديد لا تعني مطالبته بالعديد بمقدار استهداف إعادة القبيسات إلى أبو ظبي وليس إعادتهم إليه^(٢٣).

- عودة القبيسات إلى أبو ظبي:

استمرت إقامة القبيسات في البدع حتى عام ١٨٨٠، وقرر الشيخ قاسم آل ثاني انتهاز هذه الفرصة ليؤكد تبعية العديد إلى قطر، ثم عدل عن ذلك بسبب احتجاج بريطاني صارم^(٢٤)، وسمح للقبيسات بالعودة إلى أبو ظبي بعد أن تصالحوا مع الشيخ زايد الذي أبدى استعداداه لتسديد الديون التي ترتبت عليهم أثناء إقامتهم في البدع، ما يدل على أنهم في وضع اقتصادي متدني، وإن ضعفهم الاقتصادي دفعهم لقبول الصلح مع الشيخ زايد^(٢٥).

لقد أضعفت عودة القبيسات إلى أبو ظبي موقف الشيخ قاسم آل ثاني بشأن العديد بعد إن كان يأمل إخضاعهم ومد نفوذه على المنطقة، الأمر الذي جعله يثير موضوع استعادة الديون المترتبة على بطي بن خادم مستعيناً بالسلطات البريطانية في المنطقة^(٢٦)، التي سبق أن رفضت السماح له باستعادة تلك الأموال بالقوة^(٢٧)، واخذوا على عاتقهم معالجة الموضوع، ثم أوعزوا إلى وكيلهم في أبو ظبي للتحقيق بتلك الديون، وجاءت نتيجة التحقيق مطابقة لما ذكره بطي بن خادم، الذي نفى إن تكون ثمة ديون قد ترتبت عليه أثناء وجوده في قطر^(٢٨)، الأمر الذي أدى إلى احتجاج الشيخ قاسم لدى السلطات البريطانية متهماً وكلاتهم بتشويه الحقائق والأخذ بأقوال مشايخ الساحل العماني^(٢٩).

فشل الشيخ قاسم آل ثاني باستعادة أمواله، فعمل على تفجير الصراع بينه وبين أبو ظبي، بعد إن أخذت العلاقة بينهما حتى عام ١٨٨٠ طابعاً ودياً، فقد اتهم الشيخ زايد بن خليفة الشيخ قاسم بتحريض بني هاجر وبعض المناصرين على الإغارة على بعض مناطق أبو ظبي المتاخمة لقطر عام ١٨٨١^(٣٠)، والاستيلاء على بعض الممتلكات التي بيعت في البدع، وكرر الشيخ قاسم العملية بعد أربع سنوات رداً على غارات شنتها قبائل الموالية للشيخ زايد على مناطق في قطر، وفي عام ١٨٨٨ نشبت حرب بين الطرفين إثر غارة قام بها أفراد من قبيلة المناصرين من آل أبو شعر (بو شعر) الموالية للشيخ زايد يقودهم ابنه خليفة وصهره محمد بن سيف استهدفت الدوحة، في الوقت الذي كان فيه حاكمها الشيخ قاسم بعيداً عنها، وأسفرت عن مقتل علي أحد أبناء الشيخ قاسم، ما جعل الأخير يقوم بتجميع عدد من الموالين له ويغير على أبو ظبي انتقاماً لمصرع ابنه. على أثر ذلك حاول الشيخ زايد عقد حلف مع الشيخ عيسى

بن علي (١٩٢٣-١٨٧٩) حاكم البحرين مستغلا العداء بينه وبين الشيخ قاسم، الذي حاول التقليل من فاعلية الحلف، بالحصول على مساعدة ابن الرشيد في حائل^(٣١)، وطلب العون من العثمانيين^(٣٢)، وبالفعل فقد حصل على العون والمساعدة في حملته عام ١٨٨٩ ودارت معركة طاحنة سميت (خورة) نسبة إلى قلعة في أبو ظبي. ومنيت قوات الشيخ زايد بخسائر فادحة، وبذلك حقق قاسم ما كان يصبو إليه، كما أنه أعطى الأمل للعثمانيين في السيطرة على ساحل عمان^(٣٣).

إن إثارة الشيخ قاسم آل ثاني موضوع الديون المترتبة على بطي بن خادم ثم صراعه مع الشيخ زايد كانت محاولة لتأكيد حقوقه لدى السلطات البريطانية بشأن عانديه منطقة العديد إلى قطر، فقد حاول طيلة مدة صراعه مع الشيخ زايد تأكيد سيادته عليها من خلال الطلبات التي تقدم بها للبريطانيين، إلا أنهم رفضوا ذلك وطلبوا من وكيلهم في الشارقة إبلاغ الشيخ زايد رفضهم رغبة الشيخ قاسم هذه، كما طلبوا من وكيلهم الإخبار عن أية محاولة لتوطين أحد في العديد^(٣٤)، وبرروا رفضهم السماح للشيخ قاسم بإعادة بناء العديد بأن الشيخ محمد آل ثاني اخبر المقيم السياسي البريطاني ببلي (Pally) قبل عشر سنوات أن العديد لا تتبع لقطر، إلا أن الشيخ قاسم اعترض على قرارهم موضحاً أن القرار الذي اتخذوه يتعلق بالبر وهو من مسؤولية السلطات العثمانية على حين إن مسؤولية البريطانيين تتعلق فقط بالبحر القريب من العديد. لقد حاول قاسم ثني البريطانيين عن قرارهم موضحاً أهمية المنطقة لقطر، وإن بقاء العديد مدمرة سيجعلها منطقة تهديد لحدود قطر الجنوبية من البدو وإن أعمارها وإسكان الأهالي سوف يؤمن تلك المنطقة^(٣٥). لكن البريطانيين أخبروا الشيخ قاسم أن قرارهم لا يمكن الرجوع عنه، وتوصلوا إلى اتفاق مع الشيخ زايد اعترفت بمقتضاه الحكومة البريطانية رسمياً عام ١٩٠٥ بتبعية الأراضي المجاورة للعديد إلى الشيخ زايد بن خليفة، وفي الوقت الذي أعلن العثمانيون فيه تراجعهم عن قرارهم الذي اتخذوه عام ١٩٠٢ بضم العديد إلى قطر على اثر احتجاج بريطاني، فإن ذلك لم يمنعهم من تأكيد سيادتهم على المنطقة، على الرغم من الإعلان البريطاني، إذ قرروا في العام ١٩١٠ إرسال مدير عثماني للعديد، الأمر الذي أدى إلى احتجاج السلطات البريطانية^(٣٦)، إلا أن العثمانيين لم يترددوا واحتفظوا بسيطرتهم على المنطقة حتى قيام الحرب العالمية الأولى^(٣٨).

الهوامش

(١) لبيب عبد الساتر، قصة الخليج. تفاعل دائم ومستمر، دار المجاني، بيروت، ١٩٨٩، ص ١٤٤.

* أثرنا عدم التلاعب بالاسم لغوياً، وتعاملنا معه اسم علم.

- (٢) محمود بهجت سنان، تاريخ قطر العام، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٦٦، ص ١٤٢ .
- (٣) المصدر نفسه، ص ١٤٢ .
- (٤) محمد حسن العيدروس، هجرة القبسات الأولى من أبو ظبي إلى العديد (دراسة وثائقية)، مجلة دراسات تاريخية، العددان ٤٥-٤٦ آذار- حيران، دمشق، ١٩٩٣، ص ١٣ .
- (٥) عبد العزيز المنصور، التطور السياسي لقطر (١٨٦٨ - ١٩١٩)، ط ٢، ذات السلاسل، الكويت، ١٩٨٠، ص ١٦٦ .
- (٦) جمال زكريا قاسم، دراسة لتاريخ الإمارات العربية (١٨٤٠ - ١٩١٤)، ط ٢، دار البحوث العلمية، القاهرة، ١٩٧٢، ص ٢١١ .
- (٧) محمود بهجت سنان، أبو ظبي واتحاد الإمارات العربية ومشكلة البريمي، مطبعة دار البصري، بغداد، ١٩٦٩، ص ٩٢ .
- (٨) إدارة العلاقات وشعبة البحث في شركة الزيت العربية الأمريكية، عمان والساحل الجنوبي للخليج العربي، القاهرة، ١٩٥١، ص ٢٦٠ .
- (٩) زهدي عبد المجيد سمور، تاريخ ساحل عمان السياسي، دار ذات السلاسل، الكويت، ١٩٨٥، ج ٢، ص ١٢٢ .
- (١٠) محمد عز أبو نخلة، تاريخ الإحصاء السياسي (١٨١٨ - ١٩١٣)، دار ذات السلاسل، الكويت، ١٩٨٠، ص ٢٠٨ .
- (١١) لوريمر، دليل الخليج، القسم التاريخي، طبع على نفقة أمير دولة قطر، الدوحة، ١٩٧٥، ج ٣، ص ١٢٤١ .
- (١٢) تذكر بعض المصادر اسم قاسم ومصادر أخرى باسم جاسم والتسمية الثانية تأتي متماشية مع ما درج على تسميته في قطر. أمين الريحاني، نجد وملحقاتها، ط ٤، مطبعة مؤسسة الريحاني، بيروت، ١٩٧٠، ص ١١٣ .
- (١٣) محمد حسين القهواتي، دور البصرة التجاري في الخليج العربي (١٨٦٩ - ١٩١٤)، منشورات مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، ١٩٨٠، ص ١٤٠ .
- (١٤) حي. إي. سالدانا، الشؤون القطرية (١٨٧٣ - ١٩٠٤)، ت: احمد العناني، دولة قطر وزارة التربية ورعاية الشباب، مطبعة دار العلم، الدوحة، ١٩٧٦، ص ٧٥ .
- (١٥) المصدر نفسه، ص ٧٦ .
- (١٦) عبد الفتاح أبو عليه، الدولة السعودية الثانية (١٨٩١-١٨٤٠)، مطبعة المدني، الرياض، ١٩٧٤، ص ٢١٤ .
- (١٧) سالدانا، المصدر السابق، ص ٧٨ .
- (١٨) جمال زكريا قاسم، المصدر السابق، ص ٢١٣ .
- (١٩) عبد العزيز عبد الغني إبراهيم، بريطانيا وإمارات الساحل العماني، منشورات الخليج العربي، البصرة، ١٩٧٨، ص ٣١٠ .
- (٢٠) المصدر نفسه، ص ٣١٠ .
- ** تقع البدع على الساحل الشرقي من شبه جزيرة قطر يفصلها عن مدينة الدوحة حي صغير يسمى بالدوحة الصغيرة .

- (٢١) محمد حسن العيدروس، تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، عين للبحوث والدراسات الإنسانية، مصر، ١٩٩٨، ص ١٦٠.
- (٢٢) مؤيد عاصي سلمان، العلاقات القطرية - البريطانية (١٨٦٨ - ١٩١٦)، رسالة ماجستير، جامعة البصرة، ١٩٨٩، ص ٨٠.
- (٢٣) المصدر نفسه، ص ٨٠.
- (٢٤) جمال زكريا قاسم، المصدر السابق، ص ٢١٦.
- (25) India office record here after sited as : (I.O.R) R/15/1/187,P114.
- رسالة من الشيخ قاسم آل ثاني إلى طحنون وخليفة أبناء الشيخ بن خليفة، في ١٢ ذي الحجة ١٢٩٧ هـ، بلغ مقدار الديون التي ترتبت على بطي بن خادم إثناء وجوده في قطر أربعة آلاف قران . والقران يعادل بالعملة العراقية في عام ١٨٨٧ (٤١ فلس)، في حين يذكر جمال زكريا قاسم، إن سكان العديد يدفعون (٥٠٠) قران سنويا لقاسم بن ثاني مقابل استخدام مصائد اللؤلؤ في بلاده. للمزيد ينظر: جمال زكريا قاسم، المصدر السابق، ص ٢١٧.
- (26) India office record here after sited as : (I.O.R) R/15/1/187,P45.
- رسالة من الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني إلى الوكيل السياسي البريطاني، ٤ محرم ١٢٩٨ هـ.
- (27) I bid , P51 .
- رسالة من الوكيل السياسي البريطاني إلى الشيخ قاسم بن محمد آل ثاني، ٣ آب ١٨٨١ .
- (٢٨) جمال زكريا قاسم، المصدر السابق، ص ٢٨٨ .
- (٢٩) مؤيد عاصي سلمان، المصدر السابق، ص ٨٢ .
- (٣٠) مصطفى مراد الدباغ، قطر ماضيها وحاضرها، منشورات دار الطليعة، بيروت، ١٩٦١، ص ١٧٣ .
- (٣١) يعود تأسيس إمارة حائل إلى عبد الله بن علي بن رشيد، الصديق المقرب من فيصل بن تركي، الذي عينه أميراً على جبل شمر وأصبح الرشيد يتمتعون بقوة كبيرة وسط جد والمناطق القريبة من شبه الجزيرة العربية بعد أن تمكنوا من الاستيلاء على ممتلكات آل سعود، إذ تمكن محمد بن عبد الله وأخاه عبد الرحمن أبناء فيصل بن تركي من الإقامة في حائل تحت إشرافه. للمزيد ينظر: جبار يحي عبيد، التاريخ السياسي لإمارة حائل، تقديم ومراجعة: عبد الله بن محمد المنين، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ٢٠٠٣، ص ٤٩ .
- (٣٢) عبد العزيز عبد الغني إبراهيم، المصدر السابق، ص ٣١٣ .
- (٣٣) محمد حسن العيدروس، المصدر السابق ص ١٦٢ .
- (34) India office record here after sited as : (I.O.R) R/15/1/187,P19 .
- رسالة من المقيم السياسي البريطاني الى وكيل الشارقة ، ٣٠ حزيران ١٨٨١ .
- (٣٥) مؤيد عاصي سلمان، المصدر السابق، ص ٨٥ .
- (٣٦) صلاح العقاد، التيارات السياسية في الخليج العربي، المطبعة الفنية، بيروت، ١٣٤٧، ص ١٨٨ .
- (٣٧) فؤاد سعيد العابد، سياسة بريطانيا في الخليج العربي (١٨٥٣ - ١٩١٤)، دار ذات السلاسل، الكويت، ١٩٨٤، ص ٩٠ .
- (٣٨) المصدر نفسه، ص ٩٠ .